منذ الساعات الاولى للقتال حاولت الدبابات الاسرائيلية ، المرابطة في مواقع محفورة تبعد مسافه ٥ الى ٨ كلم من خط بارليف ، التقدم في محاولات لصد وحدات المشاه المصرية التي عبرت القناه واخذت تهاجم حصون بارليف بعد ان احاطت بها من كل جانب ، ثم في محاولات اخرى لانقاذ من بقي حيا من جنود هذه الحصون، ولكنها في كل مرة كانت تتعرض لكمائن « الار بي جي — ٧ » المتمركزه على الضفة الشرقية وصليات صواريخ « ساغر » من الضفه الغربية للقناة . وتكبدت نتيجة لذلك خسائر فادحة اشار اليها مؤلفو كتاب « التقصير » في عديد من المواضع حيث قالوا « ان نحو مائة دبابة كانت تخوض قتالا فعليا على امتداد الخط الامامي ، في محاولات يائسه لانقاذ المحاصرين في التحصينات . واتضح للقيادة في وقت لاحق ان ثمن محاولات الانقاذ هذه باهظ جدا . فقد خلف الجيش الاسرائيلي عندما حاول اختراق طوق الحصار المضروب على أحد التحصينات ، نحو ٤٠ دبابه وناقلة جنود مصفحه ، كما اصيبت قوة أكبر في محاولة انقاذ نحو ٣٠ مقاتلا محاصرين »(١٠) .ويقول الكاتب الامريكي «كنث برور» انه في « نهاية بعد ظهر يوم ٧ اكتوبر ، لم يكن لدى اسرائيل سوى ٩٠ دبابة عاملة من اصل ٢٥٠ دبابة كانت لديها ، وهذه الدبابات كانت هي الاخرى مصابة بشدة ، وأطقمها من الرجال المتعبين . وكان امام مصر خياران . اما ان تقوم باندفاع سريع لتحطم السيطرة الاسرائيلية على ممرات سيناء الاربعة الحيوية التي تبعد ٢٠ ميلا عن القناة ، أو أن تقف مكانها وتعزز راس جسرها . وقد اختارت الحل الاخير ، الذي يعد اقترابا اكثر حذرا »(٢١).

ثم بدأت تشكيلات الاحتياطي المدرع تصل الى سيناء ، وقد تعرض بعضها لكمائن وحدات الصاعقة التي نقلتها طائرات الهليكوبتر الى عمق سيناء عند الممرات في ليلة ٦/٧ وتكبدت بعض الخسائر نتيجة قذائف « الآر بي جي ٧ » ، وفي صباح يوم الاثنين ٨/١٠/٧٣ تلقت هذه التشكيلات امرا من القيادة الجنوبية بالقيام بهجوم مضاد بهدف « السيطرة على الجسور العائمة التي اقامها المصريون ونقل قوات اسرائيلية مدرعة عليها الى الضفة الغربية »(٢٢) ويعلق مؤلفو « التقصير » على هذا الهجوم قائلين « وارسلت الدبابات ... ودون معرفة العدو ، للهجوم كمن « يناطح الحائط » . ويبدو أن القيادة قدرت ان هذا بمثابة « اليوم السابع من حرب الايام الستة » . فقد اشترك الكثير من القادة في حرب الايام الستة ، واعتقدوا انه « تكفي خبطة على صفيحة لتطير العصافير مذعورة » . وعلى الرغم من أن اول يومين ، كانا مريرين وتم فيهما سحق قوات كبيرة ، فانهما لم يكونا كافيين ، كما يبدو ، للتوضيح بأن هذه الحرب تختلف كليا . وقد اصطدمت الدبابات المهاجمة بفرق المشاة المسلحة بالصواريخ ، والى جانبها الدبابات وناقلات الجنود المصفحة بكثرة ، تساعدها المدفعية من كافة الانواع ، والتي لم تتوقف عن القصف طوال ساعات اليوم . وقد وجد الرجال انفسهم يهاجمون كتائب عصرية . تمركز المصريون كتلا كتلا حيث كان جنودهم مزودين بالصواريخ تحميهم وحدات من الرشاشات والدبابات »(٢٣).

وقد توغلت احدى الوحدات المدرعة الاسرائيلية حتى وصلت الى قرب القناة واحترقت ٨ دبابات منها فوق المصاطب الترابية على الضفة الشرقية التي كانت معدة من قبل كي ترمي الدبابات من فوقها القوات المصرية على الضفة الغربية ، « وتلقت عشرات الدبابات قذائف صواريخ « ساغر » وبدأت تشتعل وهي تنسحب . ولوحظت دلائل واضحة على انهيار الهجوم المضاد . فقد انسحبت دبابات ، بصورة غير نظامية، ونفذت الذخيرة ... وكانت المنطقة كلها مغطاة بقذائف المدفعية والكاتيوشا والهاونات ... واستمر « قنص المشاة المصريين للدبابات بصواريخ « ساغر » »(٢٤).